حادثة الإفك

ودور المنافقين في تحريفها وإشاعتها

عبد السلام حمدان اللوح[1]

عبد الجواد محمد الأسطل[2]

المقدمة

الحمد لله الحق المبين الذي أنزل كتابه هدى للعالمين، وجعله صراطا مستقيماً، ونوراً مبيناً، والصلاة والسلام على البشير النذير، الداعي إلى الصراط المنير ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين وبعد.

فإن الابتلاء في النفس والأهل والمال والولد هي سنة إلهية مع أنبيائه وأوليائه، وإن المرء ليبتلي على قدر إيمانه، ولذا فإن الأنبياء هم أشدُّ الناس بلاءً، وهم القدوة لأتباعهم في الصبر والثبات، ومعالجة الأزمة بحكمة وروية، بعيداً عن الأخذ بالقيل والقال، وتحريف المقال، وإشاعة الأقوال، إنها القيادة الحكيمة، التي تنتظر تعاليم الله تعالى، وتوجيهات رب العالمين في حسم الصراع بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والافتراء، وبين الواقعية والبهتان.

إن المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين يتصيدون الفرص، ويستغلون الأحداث، فيؤولونها، ويحرفونها، ويشيعونها، بهدف خلط المواقف، وإحداث بلبلة، وإرباك في الصف الداخلي، وإشغال العامة والخاصة في أمور هامشية ثانوية، لا تجلب إلا السقوط في الوحل، والانحراف عن الجادة، وهذا الدور السلبي وما يتبعه من الروايات الواهية المكذوبة تمثل خطراً على الإسلام بصفة عامة، وعلى الصف المؤمن بصفة خاصة.

ومع ذلك فلله حكمة في وقوع حدث هنا أو هناك، ليتنزل حكم الله تعالى في هذه القضية أو تلك، فيكون العلاج القرآني لينتفع به المؤمنون في كلِّ عصورهم، ومع كل أجيالهم المتتالية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وانطلاقا من هدف الدراسة وغايتها فقد جعلناها في مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة، كما يلي:

المبحث الأول : تعريف الإفك وزمن الوقوع . وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الإفك لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: زمن وقوع الحادثة.

المبحث الثاني: دواعي الحادثة ودور المنافقين . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دواعي الحادثة.

المطلب الثاني: دور المنافقين في تخريجها وإشاعتها

المبحث الثالث: الرد القرآني والحِكَم المستفادة. وفيه ثلاثة مطالب:

---

(1) الأستاذ الدكتور في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية – غزة .

(٢) الحاصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن والمحاضر بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية.

المطلب الأول: الرد القرآني في إثبات البراءة.

المطلب الثاني: الحكم المستفادة من حادثة الإفك.

المطلب الثالث: الأحكام والمواعظ المستنبطة من حادثة الإفك

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول

تعريف الإفك وزمن الوقوع

المطلب الأول : تعريف الإفك لغة واصطلاحاً .

أولاً: تعريف الإفك لغةً الإفك: هو ان تسمع خبراً، وتجعل لسانكَ طليقاً به، وهذا هو تعريف رب العالمين للإفك، قال تعالى: (**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**) {النور: ١٥} أي: تتلقى باللسان وتقول بما لا تعلم،وأن يأتيك الخبر دون يقين.

وجاء في معجم مقاييس اللغة "(أفك) الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته. يقال أفك الشيء. وأفك الرجل، إذا كذب. والإفك الكذب. وأفكت الرجل عن الشيء، إذا صرفته عنه. قال الله تعالى: (**قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا**)[الأحقاف: ٢٢] . والمؤتفكات: الرياح التي تختلف مهابها. يقولون:"إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض"[٣].

وفي القاموس المحيط: أفَكَ كضَرَبَ وعَلِمَ إفْكاً بالكسر والفتح والتحريك وأُفُوكاً : كَذَبَ كأَفَّكَ فهو أفَّاكٌ وأفيكٌ وأفُوكٌ و عنه يَأْفِكُه أفْكاً : صَرَفَه وقَلَبَه أو قَلَبَ رأْيَه[٤].

وقال فخر الدين الرازي: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه، وأجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة τ[٥].

وقال المناوي: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه[٦].

وقال أبو البقاء :كل شيء في القرآن إفك فهو كذب[٧].

ثانياً: تعريف الإفك اصطلاحاً: اجتهد الباحثان في وضع تعريف شرعي اصطلاحي لهذه اللفظة القرآنية، وذلك فيما يلي:

هو الفرية التي افترها المنافقون بحق السيدة عائشة τ زوج النبي ρ وابنة صاحبه في الغار الملقب بأبي بكر الصديق ψ [٨] مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل τ. .

---

(٣) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس ١١٨/١.

(٤) القاموس المحيط/الفيروزآبادي ٢٨٤/٣ باب الكاف فصل الهمزة مادة (أفك) .

(٥) التفسير الكبير/ الرازي ٢٣/ ٣٤٠. وبمثله قال الزمخشري والبيضاوي.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف/ المناوي ص٨١ .

(٧) الكليات/ أبو البقاء ص١٥٣ .

المطلب الثاني: زمن وقوع الحادثة. حدثت هذه الحادثة في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة عند عامة أهل المغازي، وسنة ست على قول ابن إسحاق[٩]. وكانت عند الرجوع من غزوة بني المصطلق، وسبب الغزوة أنه لما بلغ رسول الله ρ أن الحارث بن أبي ضرار –رأس وسيد بني المصطلق– سار في قومه وبعض من حالفه من العرب، يريدون حرب رسول الله ρ، وقد ابتاعوا خيلاً وسلاحاً، وتهيّأوا للخروج، حينها بعث رسول الله ρ بريدة بن الحصيب الأسلمي، ليستطلع له خبر القوم، فأتاهم حتى ورد عليهم ماءهم، وقد تألبوا وجمعوا الجموع، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع إلى رسول الله فأخبره خبرهم، فندب رسول الله الناس، فأسرعوا في الخروج، وخرج معه سبعمائة مقاتل وثلاثون فرساً، وكان منهم جماعة من المنافقين، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة.

وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله إليه، فخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله إلى المريسيع، وهو مكان الماء، فضرب عليه قبته، ومعه عائشة و أم سلمة ، وتهيأ رسول الله ρ وأصحابه لملاقاة القوم.

والصحيح من روايات هذه الغزوة، كما يذكر الإمام ابن القيم وأهل السير، أنه لم يكن بينهم قتال، وإنما أغاروا عليهم عند الماء، وسبوا ذراريهم، وأموالهم، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح "أن النبي ρ أغار على بني المصطلق وهم غارّون– أي غافلون– وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية "[١٠].

وكشفت هذه الغزوة حقد المنافقين على الفئة المؤمنة، فما إن علموا بأن المسلمين انتصروا في المريسيع، حتى سعوا في إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، ثم سعوا إلى إيذاء رسول الله ρ في نفسه وأهل بيته، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها على أهل بيت الرسول ρ .

المبحث الثاني

دواعي الحادثة ودور المنافقين

المطلب الأول: دواعي الحادثة.

حادثة الإفك الذي رميت به أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ما هو إلا حلقة من حلقات التآمر على الدعوة، ومحاولة تشويه رموزها؛ وذلك لعلم العدو أن هذا الدين يقوم على المثال والنموذج

---

(٨) قال ابن الجوزي نقلا عن ابن قتيبة : سماه النبي ρ صديقا فقال يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلا، وكان علي بن أبي طالب τ يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وقيل سمي الصديق يوم أخبر النبي ρ بالإسراء، فكذبه قريش، وصدقه أبو بكر τ. انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير/ ابن الجوزي ص ٧٤.

(٩) انظر: كتاب السيرة النبوية/ ابن هشام ٣٢٥/٣.

(١٠) رواه مسلم/ كتاب الجهاد والسير: باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام ٨٩٨/٢ رقم الحديث: ٢٤٠٣ .

والقدوة، فإذا أفلح في إسقاط هذا النموذج وتشويه تلك القدوة، فقد تحقّق له ما أراد، الحادثة قصة أليمة هزت المجتمع المدني بأسره شهراً كاملاً، عُرفت في السيرة النبوية بحادثة الإفك، تتعلق بأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– كانت بعد غزوة بني المصطلق، ساقها الله –جل وعلا– لنا لكي يستفيد منها كل مسلم دروساً عظيمة، ويعلم أن البلايا والمحن وأنواع الاختبارات نزلت بأشرف وأطهر إنسان، فلا عليه إن نزل به شيء من ذلك، وإن خير ما يواجه به هو الصبر والاحتساب لينال الأجر في الدنيا والآخرة.

إن المصائب والفتن اختبارات تبين مدى ما يمتلك العبد من الإيمان، وهي ضرورة للمؤمن، تشحذ همته وتقوي إيمانه، ولعل من حكمة الابتلاء أنه فرصة لمراجعة حسابات مضت، ووقفة أمام تطلعات لمستقبل آت، فالابتلاء يزيد الرجال نضوجاً وصلابة، والدعاة الصادقين ثباتاً وعمقاً، ولن يكون الابتلاء شراً للمؤمنين أبداً، فهو خير يسوقه الله لعباده، ليعودوا وقد علتهم عزة الإيمان التي يمتلكونها، وما هي إلا لحظات حتى نرى أنها ما زالت على شموخها وقد سقط كل ما حولها، وتحول إلى رماد.

والنبي ρ مر به عدد من الابتلاءات والمحن منذ بعثه الله جل وعلا بهذا الدين، لكن أقسى محنة كانت هي حادثة الإفك. تلك الحادثة التي كشفت عن شناعة جرم المجرمين وبشاعته وهو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم، ويتناول عرض رسول الله أكرم الخلق على الله، وعرض الصدّيق أبي بكر τ أكرم صحابته عليه، وعرض رجل من الصحابة وهو صفوان بن المعطل τ ويشغل ذلك الحدث المسلمين بالمدينة شهراً من الزمان، هذا الحادث الذى جلب الهموم والآلام لقلب رسول الله وقلب عائشة –رضي الله عنها– وقلب أبي بكر الصديق وقلب صفوان شهراً كاملا.

والحادثة كما يروها الإمام البخاري رحمه الله تعالى(١١):

قال حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب، قال أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيَّب، وعلقمة بن وقاص، وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود، عن حديث عائشة – رضي الله عنها– زوج النبي ρ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلٌّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، الذي حدثني عروة عن عائشة – رضي الله عنها– أن عائشة – رضي الله عنها– زوج النبي ρ قالت: (كان رسول الله ρ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ρ معه، قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي فخرجتُ مع رسول الله ρ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ρ من غزوته، تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عِقدٌ لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يُرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه،

---

(١١) صحيح البخاري/كتاب التفسير: باب قوله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) ٤/ ١٧٧٤ رقم الحديث ٤٤٧٣.

وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه إلا استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله – ρ – اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله –ρ – فيسلم ثم يقول كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني، ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع [١٢] – وهو متبرزنا– وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح –وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة– فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً! قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله ρ تعني سلم، ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ρ فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوِّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت : فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا! قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع[١٣] ، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ρ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ρ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال : يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك،

---

(١٢) المناصع: جمع منصع، وهو الموضع الذي يتخلى فيه لقضاء الحاجة ،وهي هنا أماكن كانت معروفة من ناحية البقيع سميت بذلك لأن الإنسان ينصع فيها أي يخلص من النصوع، وهو الخلوص والناصع الخالص. فتح الباري/ابن حجر ١٩٥/١

(١٣) لا يرقأ لي دمع: بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع. فتح الباري/ابن حجر ٨/ ٤٦٧.

والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ρ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يُريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه [١٤] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[١٥] فتأكله، فقام رسول الله ρ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ρ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوا الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي؟ فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة –وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية– فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير– وهو ابن عم سعد– فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ρ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ρ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني، قالت فتشهد رسول الله ρ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، قالت : فلما قضى رسول الله ρ مقالته قلص دمعي ،حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ρ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ρ، قلت لأمي: أجيبي رسول الله ρ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ρ قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ρ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت فوا الله ما رام رسول الله ρ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى

---

(١٤) أغْمِصُه عليها : أي أعِيبُها به وأطْعَنُ به عليه. النهاية في غريب الحديث والأثر/الجزري ٣/٧٢٥

(١٥) الدّاجن: التي يعلفها الناس في منازلهم ولا يبعث بها إلى المرعى. غريب الحديث/ لابن قتيبة ١/٥٥٤.

أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت فلما سُري عن رسول الله ρ سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله Y فقد برأك، فقالت أمي: قُومي إليه، قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله Y وأنزل الله: [**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ ...**] {النور:١١} الآية العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق τ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله :(**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)} النــور:٢٢} قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجَّع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ρ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تُساميني من أزواج رسول الله ρ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها "حمنة" تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

المطلب الثاني: دور المنافقين في تخريجها وإشاعتها.

لما رمى رأس النفاق عبدالله بن أبيّ ابن سلول الصديقة الطاهرة عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، غضب الله جلَّ وعلا لانتهاك حرمة نبيه، فنفى التهمة عن الصديقة، وأنزل في تبرئتها من فوق سبع سموات آيات حَوَتْ الوعيد الشديد في الدنيا، والتوعد بالعذاب العظيم في الآخرة.

وقد انتهى ذلك الإفك بجلد الخائضين فيه، وتوبتهم، واعتذارهم إلى نبيهم وزوجه الطاهرة العفيفة.

وبعد ذلك بقرون أحدث المنافقون إفكًا آخر اتهموا به العفيفة الطاهرة في عرضها مرة أخرى، ولم يحاسبهم أحد إلا الله؛ فإنه مطلع عليهم، وهو يدافع عن رسوله وحبيبه، ويذب عن عرض خليله ρ فقد زعم المنافقون أن قوله تعالى: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**) [التحريم:١٠] مثل ضربه الله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

وقد فسر بعضهم الخيانة بارتكاب الفاحشة –والعياذ بالله تعالى–.

قال القمي في تفسير هذه الآية: "والله ما عنى بقوله: (فخانتاهما) إلا الفاحشة وليقيمن الحد على (عائشة) فيما أتت"[١٦].

ولا بد أن يقام هذا الحد عند رجعة الأئمة[١٧]، حسب معتقد الشيعة الباطل في ذلك.

---

(١٦) تفسير القمي ٣٧٧/٢.

(١٧) انظر: البرهان/ البحراني ٣٥٨/٤– ٣٧٥.

ولم يكتف هؤلاء بهذا، بل نسبوا إليها أقوالًا في غاية الخسة والبذاءة.

ذكر رجب البرسي –وهو من علمائهم– "أن عائشة جمعت أربعين دينارًا من خيانة وفرّقتها على مبغضي علي" [١٨]. وذكر أحمد بن علي الطبرسي أن عائشة "زينت يومًا جاريةً كانت، وقالت: لعلنا نصطاد شابًا من شباب قريش بأن يكون مشغوفًا بها"[١٩] .

فقاتلهم الله كيف حفظوا النبي ρ في زوجته وأحب الناس إليه! لقد رموها بأشد مما رماها به رأس المنافقين وأتباعه زمن رسول الله ρ .

لا يشك عاقل أن هذه المزاعم من البهتان المبين والإفك المفترى، فالله سبحانه وتعالى لم يضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلًا لعائشة وحفصة رضي الله عنهما، بل هو مثل مضروب للذين كفروا مطلقًا، كما قال الله تعالى في رأس الآية: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ**) [التحريم:١٠]، والمنافقون لما كانوا يحقدون على عائشة وحفصة رضي الله عنهما، ويعتقدون كفرهما، قصروا المثل المضروب عليهما وخصوه بهما.

ولم يقل أحد من مفسري أهل السنة أن الخيانة من امرأة نوح وامرأة لوط هي الوقوع في الفاحشة، وإنما أولوها بأنها الخيانة في الدين[٢٠].

وفي ذلك يقول حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "ما زنتا؛ أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه". وتبعه على ذلك جميع المفسرين[٢١].

لاشك أن قول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**) {الأحزاب:٥٧} وقوله جل وعلا: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) {الأحزاب:٥٨}، منطبق على من قذفها؛ لأن في قذفها من حيث كونها زوج رسول الله ρ إيذاءً لله ورسوله ρ ، وقذفها من حيث كونها مؤمنة غافلة إيذاء لها، ولمن اتهموه بها رضي الله عنهما وأرضاهما.

وينبغي أن يعلم أن سب عائشة رضي الله عنها بما برّأها الله منه يعتبر مروقًا من الدين – حسبما تقرر في القواعد الشرعية– وسابها كافر، وعلى هذا إجماع علماء المسلمين، مستدلين بقوله تعالى: (**يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) {النور:١٧} وبغيرها من آيات الكتاب الحكيم.

ثم بعد ذلك أولوا حادثة الافك وقالوا أن الله لم يبرأ السيدة عائشة رضى الله عنها، إنما المبرئة مارية القبطية وما رمتها به عائشة من أنها حملت بإبراهيم من جريج القبطى.

فجعل القمي من الحديث عن الإفك اتهاماً للسيدة عائشة لا تبرئة لها ! فعند قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ**) قال: فإن العامة رووا أنها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة

---

(١٨) مشارق أنوار اليقين/ رجب البرسي ص:٨٦.

(١٩) الاحتجاج/ الطبرسي ص:٨٢.

(٢٠) انظر: جامع البيان/ الطبري ١٦٩/٢٨–١٧١، تفسير ابن كثير ٣٩٣/٤، فتح القدير/ الشوكاني ٢٥٥/٥–٢٥٦.

(٢١) المراجع السابقة.

بنى المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية ، وما رمتها به بعض النساء المنافقات.

ثم ذكر رواية عن الإمام أبى جعفر أنه قال: " لما مات إبراهيم بن رسول الله ρ، حزن عليه حزناً شديداً، فقالت منافقة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج! فبعث رسول الله ρ علياً وأمره بقتله، فذهب علي υ اليه ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، وضرب علي υ باب البستان، فأقبل اليه جريح ليفتح له الباب، فلما رأى علياً υ عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب، فوثب علي υ على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي υ في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال، ولا ما للنساء، فانصرف علي υ إلى النبي ρ، فقال يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى في الوتر أم اثبت؟

قال فقال لا بل اثبت ، فقال والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، ولا ما للنساء، فقال رسول الله ρ الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت"[٢٢].

وفى سورة الحجرات ذكر قصة اتهام فلانة لمارية، وأمر الرسول ρ علياً بأن يقتل جريجاً، وأن هذا كان سبب نزول قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**..){الحجرات: ٦}[٢٣] .

ومن التخبط أن هذه الحادثة كانت عنده سببا في نزول آيتين مختلفتين متباينتين. يقول: وقوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** {الحجرات:٦}

فإنها نزلت في مارية القبطية أم إبراهيمυ ، وكان سبب ذلك أن عائشة قالت لرسول الله ρ إن إبراهيم ليس هو منك، وإنما هو من جريح القبطي[٢٤]... الخ

ثم قال القمي: وفي رواية عبدالله (عبيد الله) بن موسى عن أحمد بن رشيد عن مروان بن مسلم عن عبدالله بن بكير قال قلت لأبي عبدالله υ : جعلت فداك كان رسول الله ρ أمر بقتل القبطي وقد علم أنها قد كذبت عليه ، أو لم يعلم وإنما دفع الله عن القبطي القتل بتثبت علي υ؟ فقال بلى قد كان والله أعلم، ولو كانت عزيمة من رسول الله ρ القتل ما رجع علي υ حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله ρ لترجع عن ذنبها ، فما رجعت ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها.

ولا أدري إذا كان الطوسي ، وهو شيخ الطائفة، يعتبر من العامة، لأنه لم يورد عند تفسير هاتين الآيتين أي شيء يتعلق بمارية، فإنه فسر حادثة الإفك على أنها إتهام المنافقين عائشة بالفاحشة والعياذ بالله وأما الفاسق فقال بأنه الوليد بن عقبة، و كلا التفسيرين يوافق تفسير العامة، ويخالف خاصة الشيطان، و مما يستغرب منه أن القمي لم يتعرض في تفسيره إلى العصبة الذين جاؤا بالإفك، ولا من

---

(٢٢) تفسير القمي ٢ / ٩٩ بتصرف يسير.

(٢٣) انظر : تفسير القمي ٢ / ٣١٨ . ٣١٩.

(٢٤) انظر: بحار الأنوار/ المجلسي: ١٠٣/٦٧

هو الذي تولى كبره، ولا من هم الذين تلقوه بألسنتهم، و يقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم، ولم يحدد من هم أولوا الفضل و السعة، ولم يذكر شيئا عن حد القذف الذي أقيم على عائشة –رضي الله عنها– بموجب القرآن الكريم، ولو وقع الحد لعلم ذلك عند العامة والخاصة، ولكنه لم يحصل، لا لأن عائشة – رضي الله عنها– فوق القانون، بل لأن الحادثة ، أي قذف عائشة لمارية، لم تحصل أصلا بل هي من افتراءات الحاقدين اللذين يريدون أن يجعلوا من الآيات التي نزلت في تبرئة عائشة –رضي الله عنها– و هي نوع فضيلة لها إلى آيات ذم.

فكيف تكون عائشة التي مرت بهذه التجربة المريرة سنة خمس للهجرة، وسمعت قوله تعالى: **(يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** (النور:١٧) هي التي تقذف مارية سنة ثمانية للهجرة؟ !

فحادثة الإفك وقعت في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة عندما جرت أحداث غزوة بني المصطلق (المريسيع) .

أما ماريا القبطية رضي الله عنها فهي من سراري الرسول ρ، وأم ابنه إبراهيم، وقد أهداها له المقوقس ملك مصر سنة سبع من الهجرة، وكان معها مأبور، فقد كان يدخل على مارية وسيرين بلا إذن كما جرت به عادته بمصر، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك، ولم يشعروا أنه خصي حتى انكشف الحال[٢٥]

قال ابن الأثير: "مارية القبطية مولاة رسول الله ρ وسريته، وهي أم ولده إبراهيم بن النبي ρ أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين، وخصياً يقال له مأبور، وبغلة شهباء، وحلة حرير" [٢٦]. فكيف تنزل اية براءة ماريا القبطية رضي الله عنها كما يزعم الرافضة، وبراءتها ظهرت دون الحاجة لأن تنزل فيها آيات.

وفي الآية قال تعالى**(إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ** ..) {النور:١١}.

فقال عصبه بمعنى: مجموعة، وهي من عشرة إلى أربعين، وهؤلاء هم العصبة الذين نالوا من أمنا عائشة رضي الله عنها.

إن كان المنافقون يقولون إن آيات الإفك نزلت في براءة ماريا رضي الله عنها، فمعنى ذلك إن عائشة رضي الله عنها، لم تكن متهمة بشيء، وقولهم ينسف التهمة من أصلها.

وإن قالوا إن لها حادثة وأتهمت بمثل ذلك ، فإن الآيات نزلت في عائشة، وأثبته أهل السير الروايات والتاريخ ، كونها هي من رافق النبي ρ في غزوة بني المصطلق.

المبحث الثالث

الرد القرآني والحكم المستفادة

المطلب الأول: الرد القرآني في إثبات البراءة.

---

(٢٥) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير ٥/ ٣٠٣.

(٢٦) أسد الغابة/ ابن الأثير ٦/٢٦١

غَّلظَ جل جلاله عقوبة من رمى الصديقة عائشة رضي الله عنها بالإفك ؛ فالآيات القوارع مشحونة بالوعيد الشديد والزجر العنيف ،واستعظام ما جاء به رأس النفاق، ومن رددوا قوله من الإفك، واستفظاع ما أقدموا عليه من التلقي بالألسنة والقول بالأفواه، يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم؛ فجعل القذفة ملعونين في الدنيا والآخرة ،وتوعدهم بالعذاب الشديد في الآخرة، وأخبر أن ألسنتهم وأيديهم، وأرجلهم ، ستشهد عليهم بإفكهم وبهتانهم ، وهذا ليس ظلماً لهم، بل هو جزاؤهم الحق الذي هم أهله بسبب خوضهم في عرض نبيه، وتكلمهم على زوجة رسوله ρ تنبيها لهم على علو منزلة رسول الله ρ، وقد انتهى ذاك الإفك بجلد الخائضين فيه، وتوبتهم واعتذارهم إلى نبيهم ρ وزوجه الطاهرة العفيفة.

قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ∃ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ∃ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ∃ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ∃ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ∃ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ∃ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ∃ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ∃ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ∃ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ∃ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ∃ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ∃ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ∃ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ∃ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ∃ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**) {النور: ١١-٢٦}.

لاشك أن قول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**) {الأحزاب:٥٧} وقوله جل وعلا: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**)[الأحزاب:٥٨}، منطبق على مَنْ قذفها؛ لأن في قذفها من حيث كونها زوج رسول الله ρ إيذاءً لله ورسوله ρ، وقذفها من حيث كونها مؤمنة غافلة إيذاء لها، ولمن اتهموه بها رضي الله عنهما وأرضاهما.

وينبغي أن يُعلم أن سب عائشة رضي الله عنها بما برّأها الله منه يعتبر مروقًا من الدين – حسبما تقرر في القواعد الشرعية– وسابها كافر، وعلى هذا إجماع علماء المسلمين، مستدلين بقوله تعالى: (**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) {النور:١٧}، وبغيرها من آيات الكتاب الحكيم.

قال القاضي أبو يعلى: "من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف"[٢٧]

.

(٢٧) نقله عنه ابن تيمية/ الصارم المسلول ص:٥٧١.

"وروي عن محمد بن زيد بن علي بن الحسين أخي الحسن بن زيد أنه لما قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء! فقال: هذا سمى جدي (يعني رسول الله ρ) قرنان[٢٨]، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل"[٢٩].

وروي عن أخيه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: "أنه كان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام! اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله! هذا رجل طعن على النبي ρ، وقال الله تعالى: **(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)** {النور:٢٦} فإن كانت عائشة خبيثة فالنبيρخبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه وأنا حاضر–على حد قول الراوي–[٣٠].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين.." [٣١]

وقال ابن حجر الهيتمي بعد ما ذكر حديث الإفك: "عُلم من حديث الإفك أن من نسب عائشة إلى الزنا كان كافرًا، وقد صرح بذلك أئمتنا وغيرهم؛ لأن في ذلك تكذيبًا للنصوص القرآنية، ومُكّذبها كافر بإجماع المسلمين، وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض، لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قاتلهم الله أنى يؤفكون"[٣٢].

وقال الشيخ محمد بن سليمان التميمي حاكيًا عن عائشة رضي الله عنها: "والحاصل أن قذفها كيفما كان يوجب تكذيب الله تعالى في إخباره عن تبرئتها عما يقول القاذف فيها"[٣٣].

ويقول في موضع آخر: "ومن كذّب الله فقد كفر"[٣٤].

ونقل قول بعض أهل البيت في ذلك: "وأما قذفها الآن فهو كفر وارتداد، ولا يكفي فيه الجلد؛ لأنه تكذيب لسبع عشرة آية في كتاب الله كما مر، فيقتل ردة... ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ρ لُعنَ في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه، فهو من ضرْبِ عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين..."[٣٥] .

وأقوال علماء المسلمين كثيرة في هذا الباب، وكلها متضافرة في كفر من رمى الصديقة بما برأها الله منه، أو نسبها إلى الفاحشة –عياذًا بالله– متبعين لكتاب ربهم الذي قرر أن الطيبين للطيبات

---

(٢٨) القَرْنانُ: الذي لا غَيْرَةَ له. العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٤٣/٥

(٢٩) ابن تيمية/الصارم المسلول ص:٥٦٦–٥٦٧.

(٣٠) المصدر السابق: ص:٥٦٦.

(٣١) المصدر السابق ص:٥٦٨.

(٣٢) الصواعق المحرقة/ ابن حجر الهيتمي ص:١٠١.

(٣٣) رسالة في الرد على الرافضة لمحمد التميمي ص:٢٤–٢٥.

(٣٤) المصدر السابق ١٧/١.

(٣٥) المصدر السابق ١٧/١.

والخبيثين للخبيثات، وسنة نبيهم ρ التي دلّت دلالة قطعية على أن رسول الله ρ يحب الصديقة الطيبة عائشة حبًّا لم يساو بها فيه أحدًا من الناس، وكان ρ لا يحب إلا طيبًا[٣٦].

وبعد ذلك بقرون أحدث الشيعة إفكا آخر اتهموا العفيفة الطاهرة في عرضها مرة أخرى، ولم يحاسبهم أحدٌ إلا الله ،فإنه مطلع عليهم، وهو يدافع عن رسوله وحبيبه ، ويذب عنها.

المطلب الثاني: الحِكم المستفادة من حادثة الإفك.

هذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة، تركت وراءها العديد من الحِكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها :

أولاً: درس في الثبات والصبر على البلاء .. لقد رأينا كيف كان وقع هذه الحادثة الأليمة على أشرف الخلق محمد ρ، وعلى زوجتِه الطاهرة التي كاد قلبها أن ينفطر من الحزن والبكاء، وعلى صاحبِه أبي بكر الصديقِ التقي ، السابق الوفي ، أحبِ الناس إلى النبي ρ .. فقد عانى أبو بكر وزوجته من الألم والحزن ما لم يعانيه من قبل، فهذا أمر لم يتهم به في الجاهلية، أيرمى به في الإسلام؟

وكان الألم يعتصر في قلب صفوانَ بنِ المعطل ، وهو يُرمَى بخيانة بيت النبوة؟ وهتك عرض من يحبه حباً عظيماً بعد الله عز وجل.

ومع شدة البلاء إلا أنهم جميعاً واجهوه بالصبر والثبات ، حتى أنزل الله تعالى الفرج من عنده.

ثانياً: أكدت هذه المحنة على وجوب التثبت في نقل الأخبار والأحكام من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، حتى لا يقع الإنسان في الكذب والظلم، والحذر من الخوض في أعراض المسلمين بغير حجة أو برهان، أو إشاعة مثل هذه الأخبار غير الموثوقة في المجتمع، بل الواجب على المسلمين أن يظنوا بأنفسهم وإخوانهم خيراً ، ولا يعتمدوا على سوء الظن وقالة السوء التي ينشرها المنافقون في المجتمع، وأن يطهروا أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم من هذا البهتان العظيم ، ثم إن كانت لديهم البينة على مَنْ أشاع ذلك، فليطلبوا إقامة الحد الشرعي على مَنْ ينقل هذا البهتان من المنافقين، أو المخدوعين من المسلمين .

قال تعالى: **(وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)** {النور:١٦}.

ثالثاً: بيان خطر المنافقين على المجتمع المسلم ، كما وقع من رأس النفاق عبد الله بن أبيّ ابن سلول، ومن وراءه من المنافقين واليهود الذين كانوا يتآمرون على الإسلام والنبي ρ، فلما باءت كل محاولاتهم بالفشل لجأوا إلى هذا الأسلوب الخسيس، بأن يشككوا في أطهر وأشرف بيت عرفته البشرية إلى يومنا هذا ، بل وإلى قيام الساعة .

ولا تزال أذناب هؤلاء المجرمين إلى يومنا هذا، إلى اليوم ونحن نسمع من يرمي أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، من الرافضة وبالباطنية الذين يصرحون في كتبهم ودروسهم الآن أن عائشة زانية،

---

(٣٦) انظر كتاب: أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب/ الحسني.

حاشاها عن ذلك، بل يقذفونها بالألفاظ الشنيعة والأوصاف البشعة، التي لا يمكن أن نذكرها في هذا المقام .

وهؤلاء في الحقيقة، لا حظ لهم من الإسلام، فهم أول المكذبين بالقرآن الذي برأ عائشة من فوق سبع سموات، وهم أول الطاعنين في عرض النبي ρ .

فأظهرت الحادثة خطر المنافقين وجرأتهم، حتى نالوا من عرض رسول الله ρ، ثم ما ينبغي على المؤمن فعله عند سماع الشائعات من حفظ اللسان، وعدم الخوض فيها، يضاف إلى ذلك الصبر، وعدم التعجل في الأمور عند الابتلاء، أسوة بالنبي ρ، كما برز في هذه الغزوة خلق العفو والتسامح.

ومما يشار إليه في أحداث هذه الغزوة نزول سورة المنافقون، التي كشفت أخبار المنافقين، وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم، وفضحت أكاذيبهم قال تعالى: **(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** {المنافقون:١}.

رابعاً: لطفُ الله تعالى بعباده، ودفاعُه عن أوليائه، فقد برأ الله سبحانه وتعالى الصديقة بنت الصديق من فوق سبع سماوات، وأعلى ذكرها، وأنزل في براءتها وفضلها آياتٍ تتلى إلى قيام الساعة ، رضي الله عنها ، ولعن من افترى عليها.

خامساً: ضعف النفوس، وحاجتها إلى التثبيت من الله تعالى عند الابتلاء . كان ممن خاض في الإفك مسطحُ بن أثاثة، وهو من أهل بدر الذين قال الله لهم: "اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم"[٣٧]، وحسانُ بن ثابت، شاعر النبي، الذي كان يذب عن الإسلام ويدافع عن رسول الله بشعره، وحمنةُ بنت جحش أختُ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

وفي المقابل ثبّت الله تعالى أمَّ المؤمنين زينبَ بنتَ جحش وعصمها من الوقوع في هذا الأفك مع وجود الغيرة والمنافسة بينها وبين عائشة رضي الله عنهن جميعاً.

وإذا كان بعض الصحابة قد زلت بهم القدم، فخاضوا مع الخائضين في الإفك ، فإن غيرَهم من باب أولى .

فالحذر الحذر من الولوغ في أعراض المسلمين، والحذر الحذر من اللسان، فإن اللسان كالثعبان، يهلك الإنسان، متى ما أطلق له العِنان .

احذر لسانك أيها الإنسان *** لا يلدغنك إنه شيطان

كم في المقابر من قتيل لسانه *** كانت تخاف لقاءَه الشجعان[٣٨]

سادساً: أن هذه الأمة لا تزال مستهدفةً في رموزها ومقدساتها، وكل ما يتعلق بدينها، ولا تزال الحملات المغرضة توجِّه سهامَها إلى الإسلام أو القرآن أو جناب النبي ρ ، أو الطعن في العلماء أو الدعاة أو المتمسكين بالدين ، بتلفيق التهم ضدهم، ورميهم في أعراضهم وفي أنفسهم، ولكن الله يدافع عنهم، ويرد

---

(٣٧) رواه مسلم : كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ψ رقم ٢٤٩٤

(٣٨) المستطرف في كل فن مستظرف/: الأبشيهي ١٨٦/١ .

كيد أعدائهم في نحورهم، ويزيد أنبياءه وأولياءه الصالحين رفعة في الدنيا وثواباً في الآخرة، **(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)** {الأنبياء:١٨}.

سابعاً: أن النبي ρ لم يخرج بنبوته ورسالته، وفضله وعلو منزلته، عن كونه بشراً، فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية، فينسب إليه ما لا يجوز نسبته إلا لله وحده، قال تعالى: (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**){الكهف:١١٠}.

ثامناً: كما أظهرت هذه الحادثة أن الوحي ليس شعوراً نفسياً أو إلهاماً، كما أنه ليس شيئاً خاضعاً لإرادته ورغبته، مما يدعيه محترفو التشكيك في الإسلام والتلبيس على المسلمين، من أعداء الإسلام مَنْ سار وراءهم، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان من السهل عليه أن ينهي هذه المحنة التي آذته وآذت زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل، لأنه لا يملك ذلك. فماذا كان يمنعه، لو أن أمر القرآن بيده أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟، ولكنه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله، قال الله تعالى: (**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**){الحاقة٤٤:٤٧} وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً على بشرية الرسول، ونبوته في وقت واحد.

تاسعاً: تشريع حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد الله –عز وجل– أن يشرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين.

ومن المعلوم أن الإسلام حرم الزنا، وأوجب العقوبة على فاعله، وحرم أيضاً كل الأسباب المؤدية إليه، من تبرج وسفور، واختلاط ونظرة، ومنها إشاعة الفاحشة، ومن ثم حرم الإسلام القذف، وأوجب على مَنْ اتهم عفيفًا أو عفيفة، بالزنا . وهم منه براء . حَد القذف، وهو الجلد ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحاً، وفي ذلك صيانة وحفظ للمجتمع من أن تشيع فيه ألفاظ الفاحشة، لأن كثرة الحديث عن الفاحشة وترددها في الألسن يُهون أمرها لدى سامعيها، ويجرئ ضعفاء النفوس على ارتكابها، أو رمي الناس بها. وفي ذلك تربية للمجتمع الإسلامي الأول ليكون نموذجا للمجتمعات بعد ذلك.

عاشراً: ولقد ظهر في هذه الحادثة فضل عائشة رضى الله عنها ، فقد برأها الله من الإفك بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، يتعبد المسلمون بتلاوته، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُم**){النور: ١١}، فكم ارتفعت منزلتها رضى الله عنها . بذلك، وقد كانت تقول كما روى البخاري : " ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى"، ومن ثم فمن اتهمها بعد ذلك بما برأها الله به، فهو مكذب لله، و مَنْ كذب الله فقد كفر.

الحادي عشر: التوقف عند أمر الله –عز وجل– بالطاعة، وإن كانت مخالفة لرغبة الإنسان وهواه، وعدم ترك النفقة على الأقارب والفقراء وإن أساءوا، والحث على العفو والصفح عمن أساء إليك .

ظهر ذلك في موقف أبي بكر، الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ، فلما أنزل الله براءة عائشة رضى الله عنها . قال أبو بكر رضى الله عنه: " والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة رضى الله عنها ، فأنزل الله تعالى: **(وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم** ٌ) {النور:٢٢}، فقال أبو بكر : "بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي"، فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

الثاني عشر: كانت حادثة الإفك حلقة من سلسلة حلقات الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ρ ، وكان من فضل الله ورحمته أن كشف زيفها وبطلانها، وأبقى دروسها وفوائدها، لتكون عبرة وعظة للأمة إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.. وكل ذلك من الخير الذي كشفه الله في ثنايا هذا الحادث، مع ما فيه من ابتلاء وآلام، كما قال الله تعالى: (**لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**...) {النور: ١١}.

المطلب الثالث: الأحكام والمواعظ المستنبطة من حادثة الإفك.

لقد ظهر لنا من خلال حادثة الإفك مجموعة من الأحكام والمواعظ واللطائف التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: إن من التعليمات التي وجهها الله –تبارك وتعالى– إلى المسلمين أن لا يقبلوا من كل أحد قوله بدون روية، إذا كان يرمي غيره بما لا يرونه فيه، ولا يُشيعوه في المجتمع، بل من واجبهم إذا وجدوا أن قد فشت في المجتمع مثل هذه الافتراءات والاتهامات الكاذبة أن يعملوا على كبتها، ويحولوا دون شيوعها ويجتنبوا تناقلها بينهم، وإن الذين يلفقون الأخبار الفاحشة ويذيعونها أو يحاولون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، ويحاولون إلصاق التهم بالمؤمنين والمؤمنات، ويرمونهم بما ليس فيهم، إنهم لا يستحقون الحماية والتشجيع، بل يستحقون العقاب، وإقامة الحد على كل فرد منهم حتى يرتدع ويطهّر لسانه وسمعه وبصره عن قالة السوء، وقذف الغافلين من المؤمنين والمؤمنات، وليرتدع غيره من المخدوعين بهذه المقالات السيئة إن كان مؤمناً، ويكون ذلك تطهيراً له، وإن كان منافقاً كذلك يقام عليه الحد من أجل أن يُخرس لسانه، ولئلا تسوّل له نفسه إشاعة الفاحشة، واتهام الأبرياء مرة أخرى، وليعلم أن هذا عقابه في الدنيا ما دام على هذه الحال، وله في الآخرة عذاب عظيم.

ثانياً: أما المؤمنون فيجب أن يظنوا بأنفسهم خيراً، ولا يعتمدوا على سوء الظنّ، وقالة السوء التي تنتشر في المجتمع بسبب منافق أو منافقة، إذا هم سمعوا عن ذلك يجب عليهم أن يطهروا أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم من هذا البهتان على المؤمنين والمؤمنات، وإن كانت التهمة تلحق بأحد منهم فليصبروا وليحتسبوا جزاء صبرهم عند الله، ثم إن كانت لديهم البيّنة على مَنْ أشاع ذلك فليطلبوا إقامة الحد الشرعي على ظهور أولئك المنافقين أو المخدوعين من المسلمين.

ثالثاً: إن الله I حين أنزل براءة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قال في أول آية من الآيات العشر من سورة النور، وهي نور من أولها إلى آخرها تُجلي لنا حقائق كثيرة قال:(**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ)** {النور:١١} يعني أنه لم يكن فرداً، ولم يكونوا أفراداً، إنما كانوا جماعة ذات هدف معين يتزعمهم رأس المنافقين عبد الله بن أبّي بن سلول، ومن ورائه عصبة من اليهود الذين غاظهم أن بعث

الله نبيه، وهم يتآمرون على الإسلام علانية، فلما باءت كل محاولاتهم بالفشل لجؤوا إلى هذا الأسلوب الخسيس، وإلى هذا الجرم والشناعة أن يشككوا في أطهر بيت وأشرفه، منذ أن خلق الله آدم وإلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة.

ما الذي يفيدنا هذا؟ يفيدنا أن العصبة التي شككت في بيت رسول الله موجودة اليوم كما وجدت في ذلك الزمان، فها نحن اليوم نسمع من يرمي أم المؤمنين عائشة بالفحش، من قبل كثير ممن أعمى الله سبحانه وتعالى بصائرهم عن نور الحق، وكانوا مثلهم في الجرم وكانوا مثلهم في البشاعة والذي يرمي أم المؤمنين عائشة بالفحش لا حظ له من الإسلام، فهو أول مكذّب بالقرآن، حيث برّأ الله عائشة من فوق سبع سموات

رابعاً: إن هذا الحدث قد خاض فيه بعض من الصحابة من أجلاء الصحابة كمسطح بن أثاثة الذي شهد بدراً، وحسان بن ثابت شاعر النبي، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش –رضي الله عنها–. فما الذي يدل عليه هذا الأمر؟ إنه يدل على أن النفوس ضعيفة، وأن الابتلاء هو الذي يمحص النفوس، ونحن أيضاً مبتلون بهذا، إذا كان أصحاب رسول الله الذين تربوا على يديه خاضوا مع الخائضين، وهلكوا مع الهالكين في حديث الإفك، فإن كثيراً من المسلمين اليوم يجلسون المجالس ويتحدثون في أعراض الناس الأبرياء، ويقذفون المحصنات المؤمنات البريئات بالتهم التي لا خطام لها ولا فطام، وإذا بهم بعد ذلك يشككون في النوايا، ويقولون: فلان كذا وفلان قال كذا ونوى كذا، دخلوا في نوايا الأبرياء والدعاة والعلماء، فالحذر الحذر من اللسان، فإنه يورد الإنسان الموارد والمهالك.

خامساً: إن هذا الحدث يبين لنا أن حملة الدين مستهدفون، فكم قرأنا، وكم سمعنا، وكم رأينا، وما زلنا نقرأ ونسمع ونرى دعاة صادقين وعلماء أجلاء اتهموهم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وأذنابهم في أعراضهم حتى إنهم أوذوا بين قومهم، فمنهم مَنْ أقيم عليه الحد، ومنهم من نبذهم الناس، ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى قاضية أن يمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فما تدور عجلة الزمان إلا ويبرئ الله –سبحانه وتعالى– ساحة الأبرياء من أوليائه، ويأخذ الذين تولوا كبر الإثم والجريمة البشعة أخذ عزيز مقتدر. **(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءامَنُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور)** {الحج:٣٨}.

سادساً: الشائعات من أخطر الحروب المعنوية والأوبئة النفسية، بل من أشد الأسلحة تدميراً وأعظمها وقعاً وتأثيراً، وليس من المبالغة في شيء إذا عُدَّت ظاهرةً اجتماعية عالمية لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، فكم أقلقت الإشاعة من أبرياء، وكم حطمت من عظماء، وكم هدمت من وشائج، وكم تسببت في جرائم، وكم فككت من علاقات وصداقات، وكم هزمت من جيوش، وكم أخرت في سير أقوام. والمستقرئ للتاريخ الإنساني يجد أن الشائعات وُجدت حيث وُجد الإنسان، بل إنها عاشت وتكاثرت في أحضان كل الحضارات، ومنذ فجر التاريخ والشائعة تمثّل مصدر قلقٍ في البناء الاجتماعي والانتماء الحضاري لكل الشعوب والبيئات.

ولما جاء الإسلام اتخذ الموقف الحازم من الشائعات وأصحابها لما لنشرها وبثها بين أفراد المجتمع من آثار سلبية، على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه، وسلامة لُحْمته، والحفاظ على بيضته.

ولا شك في أن الإشاعة لعبت دوراً كبيراً في حادثة الإفك، ولهذا فالشريعة الإسلامية حددت وسائل لمواجهة خطر الشائعات، وإن من أولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور.

فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذناً لكل ناعق، بل عليه التحقق والتبيّن، وطلب البراهين الواقعية، والأدلّة الموضوعية، والشواهد العملية، وبذلك يُسدّ الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور ويلوكون بألسنتهم كل قول وزور ضد كل مصلح ومحتسب وغيور.

ونستطيع أن نحدد طريقة التعامل مع الشائعات في أربعة نقاط مستنبطة من قصة الأفك، التي رسمت منهجاً للأمة في طريقة تعاملها مع أية شائعة إلى قيام الساعة، وذلك فيما يلي:

الأولى: أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم، قال الله تعالى: **(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا)** {النور:١٢}.

الثانية: أن يطلب المسلم الدليل البرهاني على أية إشاعة يسمعها، كما قال تعالى: **(لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء)** { النور: ١٣}.

الثالثة: أن لا يتحدث بما سمعه ولا ينشره، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بأية إشاعة لماتت في مهدها قال الله تعالى: **(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا)** {النور:١٦}.

الرابعة: أن يرد الأمر إلى أولى الأمر ولا يشيعه بين الناس أبداً وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، والتي لها أثرها الواقعي، قال الله تعالى: **(وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)** { النساء:٨٣}. فإذا حوصرت الشائعات بهذه الأمور الأربعة، فإنه يمكن أن تنتهي آثارها السيئة المترتبة عليها بإذن الله Y .

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليّناَ نعمه، ووالى عليَّنا مننه، وأعاننا فأكملنا هذا البحث بهذه الصورة التي نرجو أن ننال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه، و الصلاة والسلام على أطيب خلق الله تعالى، فكان طيباً كما أزواجه طيبات و الجنة لا يمكث فيها غير الطيّب، والخبث مكانه جهنّم والعياذ بالله.

وقد خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها:

أولاً: ظهر لنا المعنى اللغوي للأفك، وكذا المعنى الإصلاحي الشرعي لحادثة الإفك.

ثانياً: عرفنا زمن وقوع الحادثة، وذلك في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة، وقد وقع ذلك عند الرجوع من غزوة بني المصطلق.

ثالثاً: عرفنا أن الحادثة كانت من تلفيق المنافقين، حيث ظنوا السوء بأم المؤمنين الطاهرة لما تأخرت عن الجيش، حيث احتبسها ضياع عقدها بعد قضاء حاجتها، وكان قد حمل هودجها دون علمهم بعدم وجودها فيه.

رابعاً: وقفنا على حقيقة الحادثة وكيف بدأ وانتهى كما ذكرته رواية الإمام البخاري في صحيحه، وهي رواية مقطوع بصحتها .

خامساً: ظاهرة النفاق كانت وما زالت تتصيد الفرص بين الحين والآخر، خاصة فيما يتعلق بعرض رسولنا ρ، وما تفعله الرافضة من مصنفات تشوه الحقائق، ومن أشهرها تفسير القمي لدليل على خبايا نفوسهم اتجاه بيت النبوة، وخليفته أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

سادساً: تولى الله I الذود والدفاع والتبرئة لعرض عائشة رضي الله عنها، حيث أنزل قرءانا يتلى إلى يوم القيامة، ليقطع بذلك ألسنة المنافقين والمندسين والمرجفين، وهذا فخر لعائشة رضي الله عنها أن ينزل فيها قرآن يبرؤها.

سابعاً: اقتضت حكمة الله أن يقع الحدث، وأن يبتلى بيت النبوة بهده الإشاعة والدعاية المغرضة، وذلك لنقف على حكم جليله ومهمة في مسيرة الدعوة الإسلامية، حيث تم استنباط ثلاثة عشرة حكمة من خلال هذا البحث، لتكون منارة تنير لنا الدرب، وتبدد لنا الظلمة.

ثامناً: تم الوقوف على بعض الأحكام المواعظ المهمة التي ترتبت على حادثة الأفك، مما يبين لنا ما للإنسان، وما عليه من حقوق وواجبات، وبالتالي يعرف حده وقدره فليزمه، ويعرف منازل الناس فينزلهم منازلهم، فيرضي بذلك ربه أولاً، ثم يرضي نفسه والناس بالحق والخير والتقوى.

أسأل الله I أن يثبت قلوبنا على الإيمان والتقوى، وأن يعصم ألسنتنا من الإفك والافتراء والكذب والقذف، وأن يعصمنا من الزلل والمعاصي ما ظهر منها وما بطن، فاللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

(١) المراجع

(٢) القرآن الكريم .

(٣) الإحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي .

(٤) أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب : أبو محمد الحسيني.

(٥) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي: الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان ١٩٨٣م.

(٦) البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف_ بيروت.

(٧) البرهان في تفسير القرآن هاشم الحسيني للبحراني .

(٨) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

(٩) تفسير القمى: أبى الحسن على بن ابراهيم القمى، صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري.

(١٠) التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر بن الحسين (الفخر الرازي)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

(١١) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الناشر :شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت ١٩٩٧م.

(١٢) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر– بيروت، دمشق،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

(١٣) جامع البيان عن تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الفكر– بيروت ١٤٠٥هـ.

(١٤) رسالة في الرد على الرافضة شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب الطبعة الاولى ١٤٢٢م.

(١٥) السيرة النبوية: لابن هشام أبي محمد عبدالملك بن هشام أبي محمد عبدالملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعافري البصري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، الناشر : دار الجيل– بيروت ١٤١١م.

(١٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول: : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي تحقيق وتعليق: عصام فارس الحرستاني الطبعة: الأولى١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

(١٧) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١٨) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن ابن حجر الهيتمي الناشر، مكتبة الحقيقة – استنبول ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(١٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي وآخرون، الناشر: دار الريان– القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.

(٢٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر– بيروت.

(٢١) القاموس المحيط. محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٢٢) الكليات– معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
(٢٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسين بن الفضل الطبرسي، الناشر: دار الفكر– بيروت ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
(٢٤) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
(٢٥) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين رجب بن محمد حافظ البرسي.

توصيات المؤتمر

إنه وبالرغمِ من كثرةِ مصنفاتِ علماءِ المسلمينَ التي جمعت الأحاديثَ الموضوعة وشديدةَ الضعفِ، والمصنفات التي بينت الرواةَ الكذابينَ والوضاعين، وما قام به علماء المسلمين الأوائل من تمييز الصحيح من الضعيف من الموضوع، وتبعهم المعاصرون في جهودهم المباركة، إلا أننا لا زلنا نرى ونسمع في الدروس والخطب، وعبر وسائل الإعلام المختلفة، ونقرأ في المواقع والمنتديات على شبكة الانترنت، وفي الكتب المدرسية، والرسائل العلمية، والبحوث المحكّمة إيراد الروايات والقصص المنسوبة إلى رسول الله ρ زورًا وبهتانا.

لذا فإننا نوصي في مؤتمرنا هذا بالآتي:

أولاً: يؤكد المؤتمر على أهمية تضافر الجهود من أجل حماية السنة النبوية، بإبراز عظيم مكانتها، والكَشْفِ عن عباراتٍ وكلماتٍ تُنْسَبُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم زورًا وبُهْتانًا أي أنها مكذُوبَةٌ، أو ما يعرفُ عند علماءِ الحديثِ هيَ أحاديثُ موضوعةٌ، أو منكرة، أو متروكة، أو ضعيفة جدًا. ويرويها الناس ويتداولونها بينهم على أنّها أحاديثُ ثابتَةٌ. والتأكيد على عدمِ جوازِ روايَتِهَا، والتحذير من ذلك، بل وتحريمه، إلا مع بيان ضعفهَا وعدم صحَّتِها.

وكذا التعرُّف على قَصصٍ وحكاياتٍ امتلأت بها الكتب، يظُنُّها بعضُ النَّاس أنَّها حدَثَت مع رسولِ اللهِ ρ ، أو مع صحابته، أو التابعين، وإنما هي قصصٌ واهيةٌ لا تثبت.يُضافُ إلى ذلِكَ التنبيهُ على أخطاء شائعةٍ، وتصرُّفاتٍ يفعلها الناسُ يظُنُّها بعضُهُم أنَّها منَ الدِّينِ، وهي في حقيقة الأمرِ مُخَالِفَةٌ للشَّرعِ الحَنيفِ.

ثانيًا: ضرورة تدريس مساق تخريج الحديث ودراسة الأسانيد لجميع طلبة الدراسات العليا والكليات والمعاهد الشرعية، وكذا الكليات الإنسانية، وكل من يدرس علومًا لها علاقة بالسنّة النبوية.

ثالثًا: تفعيل دور مركز القرآن الكريم بالجامعة، وأن يقوم بدوره ليكون مركزًا إسلاميًا رائدًا، وذلك بعقد دورات متواصلة ومحاضرات وندوات في تعليم فن تخريج الحديث النبوي، ومنهج العلماء في الحكم على الحديث، وإبراز المرجعيات العلمية في الحديث، وبيان مكانتهم، واستخدام الحاسوب في خدمة السنة النبوية، وعقد المسابقات في حفظ الأحاديث الصحيحة.

رابعًا: تخصيص برامج في فضائية الكتاب، وإذاعة القرآن التعليمية بالجامعة للتحذير من تناقل الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وبيان خطورة هذا التصرف على ناقلها في الآخرة من

جهة، وأثر ذلك على المستمع من جهة أخرى، وكذا بقية الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة.

خامسًا: إضافة مباحث علمية في الكتب المدرسية لمادة التربية الإسلامية، وفي مساق متطلب الجامعة "دراسات في الحديث وعلومه" حول الأحاديث الواهية وخطورتها على الإسلام والأمة، مع ذكر نماذج منها.

سادسًا: ضرورة أن تقوم وزارات الأوقاف بدورها في متابعة خطباء الجمعة ممن يعتلون المنابر والوعاظ والدعاة والقُصّاص والمفتين من رواية الواهيات في دروسهم في المساجد، أو عبر وسائل الإعلام المختلفة من فضائيات وإذاعات، والتي انتشرت بصورة كبيرة في الآونة الأخيرة، وإنما هو التساهلُ والذي كان الأَوْلى بهم أن يحذروا الناس منه، فضلاً عن أن يقعوا فيه هم أنفسهم.

فعلى الأوقاف منع أولئك الشيوخ من تناول تلك الأحاديث في خطبهم ودروسهم ومواعظهم، وأن تضع الخطط للتعامل مع هذه الظاهرة.

سابعًا: ضرورة إصدار مطويات ونشرات دورية لجمهور المثقفين من الإعلاميين والصحفيين والكتاب والمفكرين وغيرهم من الناس ممن لا يميز بين الحديث المقبول والحديث المردود تكشف عن الكثير من الروايات والقصص غير الصحيحة المتداولة بينهم.

ثامنًا: التعاون بين الجهات العلمية والدعوية وتشجيع الباحثين في الكشف عن خطورة الوضع في الحديث النبوي وبيان مخاطره، ووضع حلول تحدّ من انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وبيان الطرق التي تقلل من رواية هذه الأحاديث.

وتشمل بذل الجهود في تنقية مصادر المسلمين ومراجعهم في العقيدة الإسلامية، وكتب التفسير والفقه والزهد والرقائق وغيرها، وكذا مراجعة الرسائل العلمية والبحوث وتنقيح كثير من الكتب المتداولة من قِبل متخصصين في الحديث وعلومه، وإصدار مجلة فصلية خاصة بالسنة النبوية.

تاسعًا: افتتاح كلية إلكترونية للسنة النبوية، تُعنَى بتدريس المساقات والمحاضرات إلكترونيًا، وتشتمل مهامّها على عقد الامتحانات، ومنح الشهادات لكل من يرغب في دراسة الحديث وعلومه.

عاشرًا: عمل موسوعة حديثية تفرد الحديث المقبول وتميزه من الحديث المردود.